

القسم في فواتح السور

د. فهد بن متعب آل متعب الدوسري

عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

من ٢٢١٧ إلى ٢٢٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:

١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فقد افتتح الله - عز وجل - بعضاً من سور القرآن الكريم بالقسم، والقسم من المؤكدات المشهورة؛ فهي تمكّن الشيء في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن العزيز للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد، فجاء القسم في القرآن الكريم لإزالة الشكوك، وإحباط الشبهات، وإقامة الحجة، وتوكيد الأخبار.

وقد أقسم الله - عز وجل - بنفسه، وبمخلوقاته، مع فيه عباده عن القسم بغيره، وقسم الله بمخلوقاته دليل على عظمة هذه المخلوقات تبعاً لعظمة خالقها.

وموضوع هذا البحث: (القسم في فواتح السور) ينشئ عن مضمونه، فهو دراسة

للأقسام الواردة في فواتح سور القرآن.

حدود البحث:

هذا البحث يتناول القسم الذي افتتحت به بعض سور القرآن الكريم دون غيره

من أقسام القرآن.

خطة البحث:

قسّمت هذا البحث إلى مقدمة، وسبعة عشر مبحثاً، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة.

- المبحث الأول: القسم: تعريفه وأركانه.
- المبحث الثاني: فواتح السور: أنواعها وأهميتها.
- المبحث الثالث: القسم في فاتحة سور الصافات.
- المبحث الرابع: القسم في فاتحة سورة الذاريات.
- المبحث الخامس: القسم في فاتحة سورة الطور.
- المبحث السادس: القسم في فاتحة سورة النجم.
- المبحث السابع: القسم في فاتحة سورة المرسلات.
- المبحث الثامن: القسم في فاتحة سورة النازعات.
- المبحث التاسع: القسم في فاتحة سورة البروج.
- المبحث العاشر: القسم في فاتحة سورة الطارق.
- المبحث الحادي عشر: القسم في فاتحة سورة الفجر.
- المبحث الثاني عشر: القسم في فاتحة سورة الشمس.
- المبحث الثالث عشر: القسم في فاتحة سورة الليل.
- المبحث الرابع عشر: القسم في فاتحة سورة الضحى.
- المبحث الخامس عشر: القسم في فاتحة سورة التين.
- المبحث السادس عشر: القسم في فاتحة سورة العاديات.
- المبحث السابع عشر: القسم في فاتحة سورة العصر.
- الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.
- ثبت المصادر والمراجع.
- أسأل الله عز وجل التوفيق والسداد.

المبحث الأول: القسم: تعريفه وأركانه

تعريف القسم:

لمادة (ق، س، م) معنيان رئيسان هما:

١ - التجزئة والتفريق: وهو (القَسْم) يسكون السين، وجمعه أقسام، ومنه قول لبيد^(١):

فقولاً له إن كان يَقْسِمُ أمره ألما يعظك الدهر أمك هابل^(٢)

وقسّمه - بالتشديد - للتكثير، أي جزّاه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾

[الذاريات: ٤٠].

٢ - الحلف واليمين: وهو (القَسَم) بفتح القاف والسين، وجمعه أقسام، مثل سبب وأسباب، وأقسم بالله إقساماً: أي حلف بالله، وقاسمه أي أقسم له أو شاركه في القسم؛

قال تعالى: ﴿وَقَسَمَهُمَا إِنِّي لَكَا لَيْنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

واقتسموا أي: تحالفوا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾



الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩٠ - ٩١].

وتقاسم القوم أي: تحالفوا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [النمل: ٦١].

واستقسمه: طلب منه الحلف واليمين.

والقسامة: من معانيها: اليمين، يقول الراغب الأصفهاني^(٣): (أقسم: حلف،

(١) هو: لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامري، أبو عقيل، صحابي وشاعر مشهور، كان كرمياً فارساً شجاعاً

من الأشراف، أحد أصحاب المعلقات العشر، توفي سنة ٤١ هـ.

انظر ترجمته: طبقات فحول الشعراء للجمحي: ١/١٢٣، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر

٣/٣٢٤.

(٢) انظر ديوانه: ص ٧٣.

(٣) هو: الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم، الملقب بالراغب الأصفهاني، صاحب التصانيف، كان من

أذكاء التكمين، توفي سنة (٥٠٣ هـ).

انظر ترجمته: السير للذهبي: ١٨/١٢٠، والبلغة للفيروزآبادي: ص ٩١.

وأصله من القسم، وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول، ثم صار اسماً لكل حلف^(١).
والعلاقة قوية بين هذين المعنيين الرئيسيين للقسم؛ فما جعل القسم إلا للتفريق بين الحق والباطل، وتحديد الأنصبة، والفصل بين الخصومات^(٢).
وعرّف السيوطي^(٣) القسم بقوله: (هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له، أو تعظيم لشأنه، أو تنويه لقدره، أو ذم لغيره...) ^(٤).
ولا يكون القسم إلا باسم معظم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع:

- قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥].
 - قوله تعالى: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ [يونس: ٥٣].
 - قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّهِنَّ﴾ [الحجر: ٩٢].
 - قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم: ٦٨].
 - قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّي أَسْمَاءُ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣].
 - قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ﴾ [التغابن: ٧].
 - قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّي الشَّرِّ وَالْفَرْبِ﴾ [المعارج: ٤٠].
- والباقى كله قسم بمخلوقاته، كقوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْنُونَ﴾ [التين: ١]. وقوله

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ص ٤١٨.

(٢) انظر للاستزادة في معاني القسم: الصحاح للجوهري: ٧٧/٢، ولسان العرب لابن منظور: ٤٧٨/١٢،

والقاموس المحيط للفيروز آبادي: ص ١٤٨٣، والمعجم الوسيط: ٧٣٥/٢.

(٣) هو: جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي، المسند الحق المدقق،

صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، رزق التبحر في التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبدیع،

توفي سنة (٩١١هـ).

انظر ترجمته: شذرات الذهب لابن العماد: ٥١/٨.

(٤) الإتيان للسيوطي: ١٧٦٨/٥.

تعالى: ﴿وَالصَّغْدَىٰ صَفًّا﴾ [الصفات: ١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخَنَسِ﴾ [التكوير: ١٥].

ولا شك في أن القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل^(١).
أركان القسم:

للقسم أربعة أركان هي:

الركن الأول: المقسم: وهو إما الله - عز وجل - وإما عباده.

قال ابن القيم^(٢): (اعلم أنه سبحانه يقسم بأمور على أمور، وإنما يقسم بنفسه - المقدسة الموصوفة بصفاته - أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته)^(٣).
الركن الثاني: المقسم به.

وقد أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء: بذاته، كقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعِنَ﴾ [التغابن: ٧]، وبفعله، نحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَلَةَ وَمَا بَدَنَهَا ۝ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَنَهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَهَا﴾ [الشمس: ٥ - ٧]، وبمفعوله، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْتَجَوَّادَا هَوَيْنِ﴾ [النجم: ١]^(٤).

وإقسامه تعالى ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته^(٥).
الركن الثالث: جواب القسم أو المقسم عليه.

(١) انظر: الخواطر السوانح في أسرار الفواتح لابن أبي الإصبع: ص ١١١.

(٢) هو: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، أبو عبدالله، شمس الدين، الشهير بابن القيم الجوزية، الفقيه الحنبلي، الأصولي، المفسر، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، له مؤلفات نافعة وتحقيقات بارعة، توفي سنة (٧٥١هـ).

انظر ترجمته: المقصد الأرشد لابن مفلح: ٣٨٤/٢، وطبقات المفسرين للدودي: ص ٢٨٤.

(٣) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم: ص ١٩.

(٤) انظر: البرهان للزركشي: ١٢٣/٣.

(٥) انظر: التبيان لابن القيم: ص ١٩.

الغالب في القرآن الكريم أن يذكر جواب القسم، وقد يحذف الجواب في بعض الأحيان إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه، فإن المقصود يحصل بذكره، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز، كقوله تعالى: ﴿وَصَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، فإن في القسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه والشرف والقدر ما يدل على المقسم عليه وهو كونه حقاً من عند الله غير مفترى كما يقوله الكافرون، ولهذا قال كثيرون: إن تقدير الجواب: إن القرآن لحق^(١).

الركن الرابع: أدوات القسم.

للقسم أدوات منها: الباء والواو والتاء، واللام ومن، قال سيويه^(٢):

(وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو ثم الباء، يدخلان على كل محلوف به...) (٣).

ولم يرد في القرآن الكريم من أدوات القسم إلا ثلاثة هي: الباء والواو والتاء^(٤).

(١) انظر: الإتقان للسيوطي: ١٩٥٠/٥ - ١٩٥٢.

(٢) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، إمام النحو وحجة العرب، أصله من فارس، ونشأ بالبصرة، صنف الكتاب أساس كتب النحو، توفي سنة (١٨٠هـ).

انظر ترجمته: إنباه الرواة للقفطي: ٣٤٦/٢، وبغية الوعاة للسيوطي: ٢٩٩/٢.

(٣) الكتاب لسيويه: ٤٩٦/٣.

(٤) انظر: شرح الفصل لابن يعيش: ٣٣/٨.

المبحث الثاني: فواتح السور: أنواعها، وأهميتها

أنواع فواتح السور:

افتتح الله - عز وجل - سور القرآن الكريم بعشرة أنواع من الفواتح، لا يخرج شيء من السور عنها:

النوع الأول: الثناء عليه تعالى.

والثناء قسمان:

١ - إثبات لصفات المدح.

٢ - نفي وتزويه من صفات النقص.

فأما الأول وهو إثبات صفات المدح فوقع بالتحميد في خمس سور هي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبا، وفاطر.

ووقع بلفظ ﴿تَبَارَكَ﴾ في سورتين: الفرقان، والملك.

وأما الثاني وهو التزويه من صفات النقص فوقع بلفظ التسبيح بمشتقاتها في سبع سور هي: الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى.

النوع الثاني: النداء.

وقد جاء ذلك في فاتحة عشر سور، خمس بنداء الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في سورة الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والزمل، والمدثر.

وخمس بنداء الأمة وذلك في سورة النساء، والمائدة، والحج، والحجرات، والممتحنة.

النوع الثالث: الجمل الخبرية.

وذلك في ثلاث وعشرين سورة هي: الأنفال، والتوبة، والنحل، والأنبياء، المؤمنون، والنور، والزمر، ومحمد، والفتح، والقمر، والرحمن، والمجادلة، والحاقة، والمعارج، ونوح، والقيامة، والبلد، وعيس، والقدر، واليمنة، والقارعة، والتكاثر، والكوثر.

النوع الرابع: القسم. (وهو موضوع بحثنا هذا).

وقد جاء القسم في فاتحة خمس عشرة سورة هي: الصافات، والذاريات، والطور، والنجم، والمرسلات، والنازعات، والبروج، والطارق، والفجر، والشمس، والليل،

والضحى، والتين، والعاديات، والعصر.

النوع الخامس: الشرط.

وذلك في سبع سور هي: الواقعة، والمنافقون، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة، والنصر.

النوع السادس: الأمر.

جاء الأمر في فاتحة ست سور هي: الجن، والعلق، والكافرون، والإخلاص، والفلق، والناس.

النوع السابع: الاستفهام.

وذلك في ست سور هي: الإنسان، والنبأ، والفاشية، والشرح، والفيل، والماعون.

النوع الثامن: الدعاء.

وجاء ذلك في ثلاث سور: المطففين، والهمزة، والمسد.

النوع التاسع: التعليل.

وذلك في سورة واحدة هي سورة قريش.

النوع العاشر: حروف التهجي.

وذلك في تسع وعشرين سورة هي بقية سور القرآن.

أهمية فواتح السور:

لحسن الابتداء وبراعة الاستهلال - وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله - أهمية كبيرة؛ فهو أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصحه معنى، وأوضحه وأخلاه من التعقيد، والتقديم والتأخير الملبس، أو الذي لا يناسب، ولهذا أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات وحروف الهجاء والقسم والنداء وغير ذلك^(١).

(١) انظر: بديع القرآن لابن أبي الإصبع: ص ٦٤، والمصباح في المعاني والبيان والبيدع لابن النازم: ص ٢٦٩، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني: ص ٣٩٠، والبيان في علم المعاني والبيدع والبيان للطبي: ص

المبحث الثالث: القسم في فاتحة سورة الصافات

أقسم الله - عز وجل - بالصافات في أول هذه السورة، وأداة القسم في هذه السورة وسائر فواتح السور الأخرى: الواو.

وقد ذكر المفسرون عدة أقوال في المراد بالصافات:

١ - فذهب جمع من الصحابة والتابعين^(١) وجهور المفسرين إلى أن المراد بالصافات: الملائكة^(٢).

يؤيد هذا القول ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم)؟ قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: (يتمون الصفوف المقدمة، ويتراصون في الصف)^(٣).

٢ - وقيل: إن المراد بالصافات: عبّاد السماء^(٤).

وهذا قول داخل في معنى القول الأول - والله أعلم -.

٣ - وقيل: الصافات: الطير، كقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ﴾ [النور: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ﴾ [الملك: ١٩]^(٥).

٤ - وقيل: المراد بالصافات: جماعة المؤمنين إذا قاموا في صفوفهم للصلاة^(٦).

٥ - وقيل: الصافات: صفوف المجاهدين في قتال المشركين، يدل لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ

(١) كابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهما - وعكرمة، وابن جبير، ومجاهد، وقادة. انظر: جامع البيان للطبري: ٤٦٧/١٠، والدر المنثور للسيوطي: ٣٨٤/١٢.

(٢) نسبته للجمهور: ابن الجوزي في زاد المسير: ص ١١٨٢، ونسبه لأهل التأويل: الطبري في جامع البيان: ٤٦٧/١٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: (الصلاة)، باب: الأمر بالسكون في الصلاة وإتمام الصفوف، ٢٩/٢.

(٤) حكاه الماوردي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - والضحاك، انظر: التكت والعيون: ٣٦/٥.

(٥) ذكره التعلي في الكشف والبيان: ١٣٨/٨.

(٦) ذكره الماوردي في التكت والعيون: ٣٦/٥.

اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنِينَ مَرْتَضُونَ ﴿[الصف: ٤]﴾^(١).
وعند التأمل في هذه الأقوال لا يظهر - والله أعلم - مانع من القول بما جميعاً
عند بيان معنى الصفات، فالله - عز وجل - يقسم بما شاء من مخلوقاته، فلا مانع من أن
يقسم بالملائكة والطير والمؤمنين حال صلاحهم أو جهادهم، فكل ما ذكر أقوال محتملة في
معنى الصفات ولها ما يؤيدها من آيات أخرى، كما أنها معان صحيحة للصف في
اللغة^(٢).

أما جواب القسم فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصف: ٤]، فكل ما
جاء من أول الآية قسم على أن الإله واحد، والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما
هو المؤلف في كلامهم من التأكيد القسمي، وتهدد لما يعقبه من البرهان الناطق به أعني
قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصف: ٥] فإن
وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته
وأعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٣)
يقول الطبري^(٤): (يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ والصفات صفاً
إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة، وإخلاص الطاعة منكم له لو واحد
لا ثاني له ولا شريك، يقول: فأخلصوا له العبادة، وإياه فأفردوا بالطاعة، ولا تجعلوا له في
عبادتكم إياه شريكاً^(٥).

(١) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والميون: ٣٦/٥.

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي: ص ١٠٧٠.

(٣) انظر: النكت والميون للماوردي: ٣٧/٥، والبيان في أقسام القرآن لابن القيم: ص ٢٥٨، وإرشاد العقل
السليم لأبي السعود: ٤٣٢/٥.

(٤) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، شيخ المفسرين، مؤرخ جامع لمختلف العلوم، توفي سنة
(٣١٠هـ).

(٥) انظر ترجمته: السير للذهبي: ٢٦٧/١٤، وطبقات المفسرين للداودي: ص ٤٨.

(٥) جامع البيان للطبري: ٤٦٨/١٠.

المبحث الرابع: القسم في فاتحة سورة الذاريات

أقسم الله - سبحانه - في فاتحة هذه السورة بالذاريات وهي الرياح في قول عامة أهل التفسير، واحدها ذارية؛ لأنها تذرro التراب والتبن، أي تفرقه في الهواء، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ حُشِيماً تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥] ^(١).

وقيل: إن الذاريات: النساء الولودات؛ لأن في ترائبهن ذرو الخلق؛ لأنهن يذرين الأولاد فصرن ذاريات، وأقسم هن لما في ترائبهن من خيرة عباده الصالحين، وخص النساء بذلك دون الرجال، وإن كان كل واحد منهم ذارياً لأمرين:

أحدهما: لأنهن أوعية دون الرجال، فلاجتماع الذروين فيهن خصصن بالذكر. الثاني: أن الذرو فيهن أطول زمناً، وهن بالمباشرة أقرب عهداً ^(٢).

والقول الأول في معنى الذاريات هو الأقوى - والله أعلم - فهو المروي عن السلف، وبه قال أكثر المفسرين، ومن ذكر القول الثاني ذكره بصيغة التضعيف ^(٣).
جواب القسم:

جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوْعِدُونَ لَمَادِقُ﴾ [الذاريات: ٥].

وفي تخصيص الأمور المذكورة بالإقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث إنها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر

وانظر: زاد المسير لابن الجوزي: ص ١١٨٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٥٧/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦/٧.

^(١) هذا القول مروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم، ومجاهد. انظر: تفسير عبد الرزاق: ٢٣٤/٣، وجامع البيان للطبري: ٤٤١/١١ - ٤٤، والدر المنثور للسيوطي: ٦٦٣/١٣ - ٦٦٤. وبه قال عامة المفسرين كالطبري في جامع البيان: ٤١١/١١، والشعلبي في الكشف والبيان: ١٠٩/٩، والسمعي في تفسيره: ٢٥٠/٥. ووصفه بالمختار، والبقوي في معالم التزيل: ٣٧١/٧، والرازي في مفاتيح الغيب: ١٦٨/٢٨.

^(٢) انظر: النكت والعيون للمارودي: ٣٦٠/٥.

^(٣) ذكره بصيغة التضعيف: السمعاني في تفسيره: ٢٥٠/٥، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٣٠/١٧.

عَلَى الْبَعْثِ الْمَوْعُودِ^(١).

يقول الطبري: (أي إن الذي توعدون أيها الناس من قيام الساعة، وبعث الموتى من قبورهم لصادق، يقول: لكائن حق يقين)^(٢).

ويقول البغوي^(٣): (ثم ذكر المقسم عليه فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ من الثواب

والعقاب ﴿لَصَادِقٌ﴾^(٤).

(١) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٢٠٢/٦.

(٢) جامع البيان للطبري: ٤٤٤/١١.

(٣) هو: الحسين بن مسعود القراء البغوي الشافعي، إمام، مفسر، حافظ، علامة، لقب بمحيي السنة، من تصانيفه: تفسيره المشهور وشرح السنة، توفي سنة (٥١٦هـ).

انظر ترجمته: السير للذهبي: ٤٣٩/١٩، وطبقات المفسرين للسيوطي: ص ٣٨.

(٤) معالم التنزيل للبغوي: ٣٧١/٧، وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ١٩٦/٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٠/١٧.

المبحث الخامس: القسم في فاتحة سورة الطور

أقسم الله في فاتحة هذه السورة بالطور، والطور اسم للجبل بالسريانية^(١) (والسريانية إحدى اللغات القديمة تنتسب إلى عائلة اللغات السامية).

وخصه بعضهم بقوله: الطور كل جبل أنبت، وما لا ينبت فليس بطور^(٢).

أما المراد بالطور في هذه الآية فقد ذهب أكثر المفسرين إلى أنه الجبل الذي كلم الله عليه موسى - عليه الصلاة والسلام -^(٣).

يقول البغوي: (أراد به الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة، أقسم الله تعالى به)^(٤).

وقيل: المراد به في الآية طور سيناء^(٥).

وقيل: إنه جبل مبهم لم يحدد^(٦).

وقد جمع ابن كثير^(٧) بين هذه الأقوال بقوله: (يقسم الله تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة: أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، فالطور: هو الجبل الذي يكون فيه أشجار، مثل الذي كلم الله عليه موسى، وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنما يقال له جبل)^(٨).

(١) هذا القول مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: الدر المنثور للسيوطي: ٦٩١/١٣.

(٢) من ذكر هذا القول: القرطبي ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما. انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٣/١٧.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٩١/٣، والكشف والبيان للعللي: ١٢٣/٩، وزاد المسير لابن الجوزي: ص

١٣٥٤.

(٤) معالم التنزيل للبغوي: ٣٨٥/٧.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ٣٧٧/٥ ونسبه للسدي.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ٣٧٧/٥.

(٧) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري الدمشقي، أبو القداء، الإمام المحدث المفسر الفقيه المؤرخ،

أخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتهت إليه رئاسة العلم، توفي سنة (٧٧٤هـ).

انظر ترجمته: طبقات المفسرين للداودي: ص ٢٦٠، وشذرات الذهب لابن العماد: ٢٣١/٦.

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٢٧/٧.

جواب القسم:

جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ٧] ^(١).

يقول القرطبي ^(٢): ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب القسم؛ أي واقع بالمشركين ^(٣).

وتخصيص هذه الأمور بالإقسام بما ألها أمور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على إحاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها .

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ص ١٣٥٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٣٠/٧، وفتح القدير للشوكاني: ١٢٥/٥.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي، أبو عبد الله، عالم متبحر مفتن في علوم شتى، له تصانيف بديعة في العقيدة والتفسير، تولى سنة (٦٧١هـ).

انظر ترجمته: طبقات المفسرين للداودي: ص ٢٤٦، وشذرات الذهب لابن العماد: ٣٣٥/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٥٦/١٧.

المبحث السادس: القسم في فاتحة سورة النجم

أقسم الله - عز وجل - في فاتحة هذه السورة بالنجم.

وقد ذكر المفسرون خمسة أقوال في المراد بالنجم المقسم به في فاتحة هذه السورة:
القول الأول: أن المراد بالنجم هنا نجوم القرآن إذا نزلت؛ لأنه كان يترل نجومياً

حسب الوقائع والأحداث، ومعنى: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ أي: إذا نزل^(١).

الثاني: أن النجم هنا: الثريا، فالعرب كانوا يخافون من الأمراض عند طلوعها،

ومعنى ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا غاب^(٢).

الثالث: النجم: الزهرة؛ لأن قوماً من العرب كانوا يعبدونها^(٣).

الرابع: الرجوم التي ترجم بها الشياطين؛ وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً كثر انقضاؤ الكواكب قبل مولده، فذعر أكثر العرب منها، وفزعوا إلى كاهن كان لهم ضريراً، يخبرهم بالحوادث، فسألوه عنها فقال: انظر البروج الاثني عشر فإن انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا، فإن لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم، فاستشعروا ذلك، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الأمر العظيم الذي استشعروه، فأنزل الله تعالى ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ أي ذلك النجم الذي هوى هو لهذه النبوة التي حدثت^(٤).

الخامس: أن النجم هنا جماعة النجوم حين تغرب أو حين تسقط يوم القيامة، وليس

(١) هذا القول مروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد. انظر: جامع البيان للطبري: ٥٠٣/١١، والدر المنثور للسيوطي: ٨/١٤، وبه قال القراء، انظر: معاني القرآن للقراء: ٩٤/٣.

(٢) هذا القول أيضاً مروى عن ابن عباس ومجاهد، انظر: جامع البيان للطبري: ٥٠٣/١١، والدر المنثور للسيوطي: ٧/١٤. ورجح هذا القول الطبري في جامع البيان: ٥٠٤/١١.

(٣) هذا القول منسوب للسدي، انظر: النكت والعيون للماوردي: ٣٨٩/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٤٢/٧.

(٤) من ذكره: الماوردي في النكت والعيون: ٣٨٩/٥، وحكاه الثعلبي في الكشف والبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما ١٣٥/٩. وانظر قصة العول عند القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٧٤/١٧.

بممتنع أن يعبر عن الجماعة من النجوم بلفظ الواحد^(١)، كما قال الشاعر^(٢):

قَبَّاتٌ تَعُدُّ النُّجُومَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعَ بَأْيَدِي الْآكِلِينَ جُودَهَا

النجم : أراد به الثريا ، والمستحيرة وصف ، يقال : جفنة مستحيرة : أي كثيرة

الدسم .

والذي يظهر - والله أعلم - عند تأمل الأقوال الواردة في معنى النجم أنها جميعاً محتملة، فالتعريف في (النجم) للجنس، والمراد به جنس النجوم، ومن فسر النجم بنجوم القرآن فهو تفسير بالمعنى المجازي ويدخل في عموم اللفظ، والمقرر عند العلماء أن الأولى حمل ألفاظ الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^(٣).

جواب القسم:

جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿مَاضِلٌ مَّاجِبُكُومًا عَوْنِي﴾ [النجم: ٢] وفي الإقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والقواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه ، أما على الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدي به السَّارِي إلى مسالك الدنيا كآله قيل والنجم الذي يَهْتَدِي به السَّابِلَةُ إلى سواء السبيل^(٤).

يقول القرطبي: (قوله تعالى: ﴿مَاضِلٌ مَّاجِبُكُومًا عَوْنِي﴾ هذا جواب القسم؛ أي ما ضلَّ محمد صلى الله عليه وسلم عن الحق وما حاد عنه)^(٥).

(١) هذا القول منسوب للحسن، انظر: النكت والعيون للماوردي: ٣٨٩/٥، ورجحه الشوكاني في فتح

القدير: ١٣٨/٥، ونسبه لجماعة من المفسرين.

(٢) البيت للراعي النمري، انظر ديوانه: ص ٨١.

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري: ٥٢٧/٢.

(٤) انظر: جامع البيان للطبري: ٥٠٤/١١، ومعالم التزيل للبغوي: ٤٠٠/٧، والكشاف للزمخشري:

٦٣٦/٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ص ١٣٦٠، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٢٢١/٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧٥/١٧.

المبحث السابع: القسم في فاتحة سورة المرسلات

أقسم الله - عز وجل - في فاتحة هذه السورة بالمرسلات، وقد ذكر المفسرون

خمس أقوال في المراد بالمرسلات:

القول الأول: أنها الملائكة، تُرسل بالمعروف من أمر الله تعالى^(١).

الثاني: أنها الرسل، يرسلون بما يُعرفون به من المعجزات^(٢).

الثالث: أنها الرياح، تُرسل بما عرّفها الله تعالى^(٣).

الرابع: أنها السحب، لما فيها من نعمة ونقمة، عارفة بما أرسلت فيه، ومن أرسلت

إليه^(٤).

الخامس: الزواجر والمواعظ، وعرفاً، أي: متابعات أو جاريات أو معارفات في

العقول^(٥).

والأظهر - والله أعلم - أن معنى الآية محتمل لهذه الأقوال الواردة في تفسيرها،

يقول الطبري: (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم

بالمرسلات عرفاً، وقد ترسل عرفاً الملائكة، وترسل كذلك الرياح، ولا دلالة تدل على أن

المعنى بذلك أحد الحزبين دون الآخر، وقد عمّ جل ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما

وصف، فكل من كان صفته كذلك فداخل في قسمه ذلك ملكاً أو ريحاً أو رسولاً من بني

آدم مرسلًا^(٦).

(١) هذا القول مروى عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عباس، ومسروق. انظر: جامع البيان للطبري:

٣٧٨/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ١٧٤/١٥، وذكره الفراء في معاني القرآن: ٢٢١/٣، وبه قال

الزمخشري في الكشاف: ٢٨٦/٦.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ١٧٥/٦.

(٣) مروى عن ابن مسعود، وابن عباس، انظر: جامع البيان للطبري: ٣٧٧/١٢، ونسبه القرطبي لجمهور

المفسرين: ١٣٦/١٩، ورجحه ابن كثير: ٢٩٧/٨.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ١٧٥/٦، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٣٧/١٩.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ١٧٥/٦، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٣٧/١٩.

(٦) جامع البيان للطبري: ٣٧٨/١٢.

والقول الخامس وإن لم ينص عليه الطبري داخل في معنى قوله : (وقد عمَّ جل ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف) فالزواج والمواظ على يرسله عز وجل على عباده .

ففي فاتحة السورة إقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مُصَيَّهِنَّ عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالأمر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن في الجو عند نزولهن بالرحي أو نشرن الشرائع في الأقطار أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحى ففرقن بين الحق والباطل فالقن ذكراً إلى الأنبياء ﴿عَذْرًا لِّلْمُحَقِّينَ﴾ (أو نَذْرًا) ﴿لِّلْمُبْطِلِينَ﴾، أو إقسام بريح عذاب أرسلهن فعصفن وبريح رحمة نشرن السحاب في الجو، أو إقسام بآيات القرآن المرسله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى من مشارق الأرض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقن ذكر الحق في أكناف العالمين^(١) .

جواب القسم:

أما جواب القسم فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات: ٧]^(٢) . يقول ابن كثير: (وقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾: هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام، أي ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد، وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. إذا هذا كله ﴿لَوَاقِعٌ﴾ أي: لكانن لا محالة)^(٣) .

(١) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٢٠٢/٦ .

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش: ٥٢٢/٢، والكشاف للزمخشري: ٢٨٧/٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٩٧/٨ .

المبحث الثامن: القسم في فاتحة سورة النازعات

أقسم الله - عز وجل - في فاتحة هذه السورة بالنازعات، وقد ذكر المفسرون ستة أقوال في معنى (النازعات):

القول الأول: أن المراد بالنازعات: الملائكة تنزع نفوس بني آدم^(١).

الثاني: أن النازعات: الموت يعزع النفوس^(٢).

الثالث: أنها: النفوس حين تنزع^(٣).

الرابع: أنها: النجوم تنزع من أفق إلى أفق^(٤).

الخامس: أنها: القسي^(٥) تنزع بالسهم^(٦).

السادس: أنها: الوحش تنزع من الكلال وتنفر^(٧).

وهذه الأقوال الواردة في معنى الآية محتملة - والله أعلم - فكلها مما يصلح أن تفسر به مفردة النازعات، وإن كان القول الأول هو قول أكثر المفسرين.

يقول الطبري: (والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقاً، ولم يخص نازعة دون نازعة، فكل نازعة غرقاً فداخلة في قسمه، ملكاً كان أو موتاً، أو نجماً، أو قوساً، أو غير ذلك)^(٨).

جواب القسم:

(١) هذا القول مروى عن علي، وابن مسعود، ومسروق، انظر: جامع البيان للطبري: ٤٢٠/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٢١٨/١٥. وبه قال القراء في معاني القرآن: ٢٣٠/٣، ورجحه ابن كثير في تفسيره: ٣١٢/٨، وقال: عليه الأكثرون.

(٢) روي عن مجاهد، انظر: جامع البيان للطبري: ٤٢١/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٢٢٠/١٥.

(٣) مروى عن السدي، انظر: جامع البيان للطبري: ٤٢١/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٢١٩/١٥.

(٤) مروى عن الحسن وقتادة، انظر: جامع البيان للطبري: ٤٢٠/١٢.

(٥) جمع: قوس، انظر: لسان العرب لابن منظور: ١٨٥/٦ (قوس).

(٦) مروى عن عطاء، انظر: جامع البيان للطبري: ٤٢١/١٢.

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ١٩٢/٦، وابن الجوزي في زاد المسير: ص ١٥١٠.

(٨) جامع البيان للطبري: ٤٢١/١٢.

اختلف العلماء في جواب القسم؛ فمنهم من قال: إن جواب القسم محذوف أو مضمّر، تقديره: لتبعثن ولتحاسبن ، فالمقسم عليه محذوف تعويلاً على إشارة ما قبله من المقسم به إليه ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعثن فإن الإقسام بمن يتولّى نزع الأرواح ويقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى^(١)، وهذا القول هو الأقوى والله أعلم .

وقيل: جوابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٦].

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، والنازعات غرقاً^(٢).

(١) رجّح هذا القول القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٧١/١٩، والشوكاني في فتح القدير: ٤٩٥/٥،

وانظر: إرساد العقل السليم لأبي السعود : ٤٤٦/٦ .

(٢) ذكر القولين الأخيرين: الأخفش في معاني القرآن: ٥٢٦/٢، وذكر الأقوال الثلاثة دون ترجيح: التعلي في

الكشف والبيان: ١٢٤/١٠، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٢٥/٨ .

المبحث التاسع: القسم في فاتحة سورة البروج

أقسم الله - عز وجل - في فاتحة هذه السورة بالسماء ذات البروج، وفي المراد بالبروج أربعة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالبروج: النجوم، سميت بذلك لظهورها^(١).

الثاني: أنها القصور، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]^(٢).

الثالث: أن البروج: الخلق الحسن^(٣).

الرابع: أن البروج: المنازل، وهي اثنا عشر برجاً رصدتها العرب والعجم، وهي منازل الشمس والقمر^(٤).

والذي يظهر - والله أعلم - أن لكل قول من الأقوال الواردة حصاً من الصحة إلا أن أقواها هو القول الرابع وهو أن البروج: المنازل، سميت بروجاً لظهورها، فهذا هو المعروف من كلام العرب إذا ذكرت النجوم مقترنة بذكر السماء^(٥). كما أن هذا القول هو قول الجمهور^(٦).
جواب القسم:

(١) هذا القول مروى عن الحسن ومجاهد وقادة والضحاك، انظر: تفسير الصنعاني: ٤١١/٣، وجامع البيان للطبري: ٥١٨/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٣٢٨/١٥. وبه قال ابن كثير في تفسيره: ٣٦٣/٨.

(٢) مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك، انظر: جامع البيان للطبري: ٥١٨/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٣٢٨/١٥. وضعف ابن عطية هذا القول بقوله: (وهذا لا يعطيه اللفظ)، انظر: انحرور الوجيز: ١٥٧/٢.

(٣) مروى عن الحسن، انظر: الدر المنثور للسيوطي: ٣٢٩/١٥.

(٤) هذا القول نسبته أبو حيان لابن عباس، انظر: البحر المحيط: ٣٣٧/٨. ورجحه الطبري في جامع البيان: ٥١٩/١٢، وبه قال الرمخشري في الكشف: ٣٤٦/٦.

(٥) انظر كلام ابن عطية في هذا في تفسيره: انحرور الوجيز: ١٥٧/٢. وانظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٤٩٠/٦.

(٦) نسبته للجمهور: أبو حيان في البحر المحيط: ٣٣٧/٨.

تعددت أقوال المفسرين في جواب القسم على أربعة أقوال:

القول الأول: أن جواب القسم متروك أي محذوف، وهذا القول رجحه الطبري بقوله: (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: جواب القسم في ذلك متروك، والخبر مستأنف؛ لأن علامة جواب القسم - أي اللام و(لا) و(ما) - لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته^(١). وتقديره: لتبعثن.

الثاني: جواب القسم قوله تعالى: ﴿قُلْ أَخَذْتُ الْقَسَمَ﴾ [البروج: ٤]، واللام فيه مضمرة، تقديره: لقد قتل، فحذفت اللام وقد^(٢).

الثالث: أن جواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]^(٣).

الرابع: أن جواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠]^(٤).

(١) جامع البيان للطبري: ٥٢٦/١٢، واختار هذا القول أيضاً: الفراء في معاني القرآن: ٢٥٣/٣.

(٢) قال بهذا: الأخفش في معاني القرآن: ٥٣٥/٢، ورجحه أبو حيان في البحر المحیط: ٣٣٨/٨، والشوكاني في فتح القدير: ٥٤٨/٥.

(٣) ممن ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسیر: ص ١٥٣٢، وضعفه القرطبي لطول الفاصل، انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥١/١٩.

(٤) ممن ذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير: ٢١٥/٣٠، ويلاحظ في هذا الجواب طول الفاصل كالقول الذي قبله.

المبحث العاشر: القسم في فاتحة سورة الطارق

أقسم الله - عز وجل - في فاتحة السورة بالسماء وأقسم أيضاً بالطارق، والطارق: النجم المضيء المتوهج، سمي بذلك لأنه يطرق، أي يطلع ليلاً، وكل من أتاك ليلاً فقد طرقك^(١).

ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: (نهي أن يطرق الرجل أهله طروقاً)^(٢). أي: يأتيهم فجأة بالليل.

وفي ذكره تنويه بشأنه إثر تفخيمه بالإقسام به وتنبه على أن رفعة قدره بحيث لا ينالها إدراك الخلق فلا بد من تلقاها من الخلاق العليم^(٣).

جواب القسم:

أما جواب القسم فهو قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]^(٤).

قول القرطبي: (قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ قال قتادة: حَفَظَ يحفظون عليك رزقك وعملك وأجلك.
وعنه أيضاً قال: قرينه يحفظ عليه عمله من خير أو شر.

(١) مروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وقتادة، والضحاك، انظر: تفسير عبدالرزاق: ٤١٦/٣، وجامع البيان للطبري: ٥٣٢/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٣٤٨/١٥ - ٤٣٩.

وبه قال الفراء في معاني القرآن: ٢٥٤/٣، والطبري في جامع البيان: ٥٣٢/١٢، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٩٣/٨، وابن الجوزي في زاد المسير: ص ١٥٣٤، وابن عاشور في التحرير والتنوير: ٢٣٠/٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب (الدخول بالعشي)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب (كراهة الطروق ليلاً).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٤٩٦/٦.

(٤) قال بهذا عامة المفسرين كالعلبي في الكشف والبيان: ١٧٨/١٠، والسمعاني في تفسيره: ٢٠٣/٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٩٣/٨، والزحخشري في الكشف: ٣٥٢/٦، والشوكاني في فتح القدير: ٥٥٨/٥.

وهذا هو جواب القسم.

وقيل: الجواب: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجَائِهِ لَقَائِدٌ﴾ [الطارق: ٨] في قول الترمذي محمد بن

علي^(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧/٢٠، ويلاحظ ذكره للجواب الثاني للقسم بصيغة التضعيف.

هو: أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، الحكيم الترمذي كان ذا رحلة ومعرفة، وله مصنفات وفصائل، توفي سنة (٣٢٠هـ). انظر ترجمته: السير للذهبي: ٤٣٩/١٣، والأعلام للزركلي: ٢٧٢/٦.

المبحث الحادي عشر: القسم في فاتحة سورة الفجر

أقسم الله - عز وجل - في فاتحة هذه السورة بالفجر، وفي المراد بالفجر هنا ستة أقوال:

القول الأول: أنه الصبح الذي يبدأ به النهار من كل يوم، كقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١] ^(١).

الثاني: أنه النهار، وعبر عنه بالفجر لأنه أوله ^(٢).

الثالث: أن المراد بالفجر: صلاة الصبح ^(٣).

الرابع: أنه فجر يوم النحر خاصة ^(٤).

الخامس: أنه فجر أول يوم من ذي الحجة ^(٥).

السادس: أول يوم من المحرم، تنفجر من السنة ^(٦).

والذي يظهر - والله أعلم - أن لكل قول من الأقوال الواردة في معنى (الفجر) وجهة، إلا أن القول الأول - وهو أن المراد بالفجر: الصبح الذي يبدأ به النهار - هو الأقوى والأولى فهو المعنى المعروف في لغة العرب للفجر ^(٧).

وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِمْرٍ﴾ تحقيق وتقرير لفخامة شأن المُقَسِّم

(١) مروي عن عكرمة، انظر: جامع البيان للطبري: ٥٥٩/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣٤٢٣/١٠، والدر المنثور للسيوطي: ٣٩٣/١٥، ورجح هذا القول الشوكاني في فتح القدير: ٥٧٧/٥.

(٢) مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: جامع البيان للطبري: ٥٥٩/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٣٩٣/١٥.

(٣) مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: جامع البيان للطبري: ٥٥٩/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٣٩٣/١٥.

(٤) مروي عن مجاهد، انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٤٢٣/١٠، والدر المنثور للسيوطي: ٣٩٣/١٥.

(٥) حكاه الثعلبي: ١٩١/١٠، وابن الجوزي: ص ١٥٤٣ عن الضحاك.

(٦) مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: الدر المنثور للسيوطي: ٣٩٣/١٥.

(٧) انظر: لسان العرب لابن منظور: ٤٥/٥ (فَجْر).

بما وكونها أموراً جليلاً حقيقةً بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول وتبنيه على أن الإقسام بما أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الأخبار^(١).

جواب القسم:

ذهب جمع من المفسرين إلى أن جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، وما بين القسم وجوابه: اعتراض^(٢)، وهذا القول هو الأرجح والله أعلم.

وذهب جمع آخر إلى أن جواب القسم محذوف، تقديره: "ليعذبين" يدل عليه قوله

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾^(٣).

وذكر بعض المفسرين الجوابين دون ترجيح أحدهما^(٤).

(١) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٩/٧.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي: ٤١٧/٨، وزاد المسير لابن الجوزي: ص ١٥٤٥.

(٣) قال بهذا الزمخشري في الكشاف: ٣٦٨/٦، ورجحه الرازي في مفاتيح الغيب: ١٥١/٣١.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٤١/٢٠، والدر المصون للسمين الحلبي: ص ٨٧٩٢.

المبحث الثاني عشر: القسم في فاتحة سورة الشمس

أقسم الله - سبحانه - في فاتحة السورة بالشمس وأقسم بضحاها، وفي ضحاها

خمس أقوال:

القول الأول: أن معنى ﴿وَحْشَهَا﴾ إشراقها وضوؤها^(١).

الثاني: انبساطها^(٢).

الثالث: حرها^(٣)، كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: ١١٩]، يعني: لا

يؤذك الحر^(٤).

الرابع: النهار كله، وقد جمع الله تعالى في القسم بين الشمس وضحاها لأن ضوء

الشمس الظاهر هو النهار^(٥).

الخامس: أن المراد بـ ﴿وَحْشَهَا﴾: ما ظهر بها من كل مخلوق، فيكون القسم

بها، وبالمخلوقات كلها^(٦).

الذي يظهر - والله أعلم - أن أقوى الأقوال في معنى ﴿وَحْشَهَا﴾ قول من قال

إنه إشراقها وضوؤها فهو قول على الأصل، ثم قول من قال: النهار كله؛ لأن جميع النهار

من نور الشمس، ثم قول من قال: حرها؛ لأن نورها وحرها متلازمان^(٧).

(١) مروي عن ابن عباس ومجاهد، انظر: جامع البيان للطبري: ٥٩٩/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٤٥٥/١٥.

٤٥٨ -

(٢) نسه الماوردي لليزيدي، انظر: النكت والعيون: ٢٨١/٦.

(٣) نسه الماوردي للسدي، انظر: النكت والعيون: ٢٨١/٦.

(٤) انظر: الكشف والبيان للتعلي: ٢١٢/١٠.

(٥) مروي عن قتادة، انظر: جامع البيان للطبري: ٥٩٩/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٤٥٨/١٥. وبه قال

الفراء في معاني القرآن: ٢٦٦/٣، ورجحه الطبري في جامع البيان: ٥٩٩/١٢، وابن كثير في تفسير

القرآن العظيم: ٤١٠/٨.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ٢٨١/٦.

(٧) انظر: مفاتيح الغيب للرازي: ١٧٢/٣١.

جواب القسم:

ذكر المفسرون قولين في جواب القسم:

القول الأول: أن جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّغْنَاهَا﴾ [الشمس: ٩]، والمعنى: لقد أفلح، ولكن اللام حذفت؛ لأن الكلام طال، فصار طوله عوضاً منها^(١)، وهذا هو القول الأرجح والله أعلم.

الثاني: أن جواب القسم محذوف، تقديره: ليدمدن الله عليهم، أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمد على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً^(٢).

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش، ٥٣٩/٢، وهو مروي عن قتادة انظر: جامع البيان للطبري: ٦٠٣/١٢،

وتفسير الصنعائي: ٧٣٣/٣، ورجح هذا القول: الشوكاني في فتح القدير: ٥٩٩/٥.

(٢) من قال بهذا القول وانتصر له: الزمخشري في الكشاف: ٣٨٣/٦.

المبحث الثالث عشر: القسم في فاتحة سورة الليل

أقسم الله - عز وجل - في فاتحة السورة بالليل حين يغشى، وقد ذكر المفسرون

ثلاثة أقوال في معنى ﴿إِذَا يَغْشَى﴾.

القول الأول: أن معنى ﴿إِذَا يَغْشَى﴾ أي: إذا أظلم، أي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه^(١).

الثاني: أن المعنى: إذا غطى وستر^(٢).

الثالث: أن المعنى: غشى الخلائق فعمهم وملاهم^(٣).

والذي يظهر - والله أعلم - أن الأقوال الواردة في معنى الآية متقاربة، بل مؤداها واحد، والآية محتملة لها.

يقول القرطبي: (قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ أي: يغطي، ولم يذكر معه مفعولاً للعلم به)^(٤). ثم ذكر الأقوال الواردة دون ترجيح أحدها.

جواب القسم:

جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]^(٥).

يقول البغوي: (أي أعمالكم مختلفة، فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها)^(٦).

وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)^(٧).

(١) مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، انظر: الدر المنثور للسيوطي: ٤٦٦/١٥. وبه قال الطبري في جامع البيان: ٦٠٩/١٢، والبغوي في معالم التنزيل: ٤٥٥/٨، ورجحه الشوكاني في فتح القدير: ٦٠٤/٥.

(٢) مروي عن سعيد بن جبير، انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٤٤٠/١٠، والدر المنثور للسيوطي: ٤٦٧/١٥.

(٣) حكاه الماوردي عن قتادة في النكت والعيون: ٢٨٦/٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧٣/٢٠.

(٥) انظر: معاني القرآن للقرطبي: ٢٧٠/٣، وزاد المسير لابن الجوزي: ص ١٥٥٨، والجامع لأحكام القرآن

للقرطبي: ٧٤/٢٠، والتحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٣٤/٣٠.

(٦) معالم التنزيل للبغوي: ٤٤٥/٨.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الطهارة) باب (فضل الوضوء) ١٤٠/١.

المبحث الرابع عشر: القسم في فاتحة سورة الضحى

أقسم الله تعالى في فاتحة هذه السورة بالضحى، وللمفسرين في المراد بالضحى أربعة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالضحى: أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس^(١).

الثاني: أن الضحى: صدر النهار^(٢).

الثالث: أن الضحى: طلوع الشمس^(٣).

الرابع: أن الضحى: ضوء النهار في اليوم كله^(٤).

والذي يظهر - والله أعلم - أن القول الرابع، وهو أن المراد بالضحى: ضوء النهار في اليوم كله هو أقوى الأقوال؛ بدليل أنه قابله بالليل في قوله تعالى في الآية التي تليها ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ ونظير ذلك قوله تعالى ﴿وَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٨] أي: فمأراً^(٥).
جواب القسم:

جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَنَ﴾ [الضحى: ٣]^(٦).

وجواب القسم إذا كان جملة منفية لم تقترب باللام^(٧).

والمعنى: ما تركك منذ اختارك، ولا أبغضك منذ أحبك^(٨).

(١) حكاه الماوردي عن السدي في التكت والعيون: ٢٩١/٦.

(٢) مروي عن قتادة، انظر: تفسير عبدالرزاق: ٤٣٥/٣، وجامع البيان للطبري: ٦٢١/١٢، والدر المنثور

للسيوطي: ٤٨٢/١٥. وبه قال الزمخشري في الكشاف: ٣٩٠/٦.

(٣) نسبة الماوردي إلى قطرب في التكت والعيون: ٢٩١/٦.

(٤) حكاه الماوردي عن مجاهد في التكت والعيون: ٢٩١/٦، وبه قال الفراء في معاني القرآن: ٢٧٣/٣،

والتعلي في الكشف والبيان: ٢٢٣/١٠، والسماعاني في تفسيره: ٢٤٢/٦، والقرطبي في الجامع لأحكام

القرآن: ٨٢/٢، والشوكاني في فتح القدير: ٦١١/٥.

(٥) انظر: معالم التنزيل للبغوي: ٤٥٤/٨.

(٦) انظر: جامع البيان للطبري: ٦٢٢/١٢، والكشاف للزمخشري: ٣٩٠/٦، والدر المنصور للسمين الحلبي: ص

٥٨٤٧.

(٧) انظر: التحرير والتوير لابن عاشور: ٣٤٩/٣٠.

(٨) انظر: معالم التنزيل للبغوي: ٤٥٤/٨.

المبحث الخامس عشر: القسم في فاتحة سورة التين

أقسم الله - عز وجل - في فاتحة السورة بالتين والزيتون، وقد ذكر المفسرون سبعة أقوال في المراد بالتين والزيتون في الآية:

القول الأول: أنه التين والزيتون المعروفان المأكولان^(١).

قال: خص الله التين بالقسم لأنها فاكهة مغلّصة لا عجم لها، شبيهة بفواكه الجنة.

وخص الزيتون لكثرة منافعه، ولأنه شجرة مباركة جاء بها الحديث، وهو ثمرة ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح^(٢).

الثاني: أن التين: دمشق، والزيتون: بيت المقدس^(٣).

الثالث: أن التين: مسجد دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس^(٤).

الرابع: أن التين: الجبل الذي عليه التين، والزيتون: الجبل الذي عليه الزيتون^(٥).

الخامس: أن التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيليا^(٦).

السادس: أن التين مسجد نوح - عليه السلام - الذي بُني على الجودي، والزيتون: مسجد بيت المقدس^(٧).

(١) مروي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، ومجاهد، انظر: جامع البيان للطبري: ٦٣١/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٥١٠/١٥. ورجحه الطبري في جامع البيان: ٦٣٣/١٢، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٠٣/٢٠، وأبو حيان في البحر المحیط: ٣٦٦/٨، ونسبه الشوكاني لأكثر المفسرين، انظر: فتح القدير: ٦٢٢/٥.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي: ٤٧١/٨.

(٣) مروي عن كعب الأحبار، وابن زيد، انظر: جامع البيان للطبري: ٦٣١/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٥٠٩/١٥.

(٤) روي عن الحارث، وابن زيد، انظر: جامع البيان للطبري: ٦٣٢/١٢.

(٥) ذكره الماوردي في التكت والعيون: ٣٠٠/٦، وابن الجوزي في زاد المسير: ص ١٥٦٦.

(٦) مروي عن محمد بن كعب، انظر: الدر المنثور للسيوطي: ٥٠٩/١٥.

(٧) مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: جامع البيان للطبري: ٦٣٢/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٥٠٨/١٥.

السابع: أنه أراد بها نعم الله تعالى على عباده التي منها التين والزيتون؛ لأن التين طعام، والزيتون إدام^(١).

الذي يظهر - والله أعلم - أن القول الأول، وهو أن التين والزيتون في الآية هما المأكولان المعروفان - هو القول الأقوى والأرجح، لذهاب أكثر المفسرين إلى القول به، ولكونه المعنى المعروف في لغة العرب، وهو المعنى الحقيقي للفظ، فلا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل.

يقول الطبري: (والصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: هو التين الذي يؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت؛ لأن ذلك هو المعروف عند العرب)^(٢).

وينول الطبري: (أصح الأقوال الأول؛ لأنه الحقيقة، ولا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل)^(٣).

جواب القسم:

جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]^(٤).

والشبه أكثر المفسرين إلى أن ﴿الْإِنْسَانَ﴾ المذكور في الآية: اسم جنس، فيحمل على العموم. دون تخصيص لإنسان بعينه^(٥).

يقول ابن كثير: (وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة..^(٦)

(١) ذكره الماوردي في التكت والعيون: ٣٠٠/٦.

(٢) جامع البيان للطبري: ٦٣٣/١٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٠٣/٢٠.

(٤) انظر: جامع البيان للطبري: ٦٣٣/١٧، وتفسير السمعاني: ٢٥٣/٦، وزاد المسير لابن الجوزي: ص ٣٠/٣٧٣.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٠٣/٢٠، والتحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٠/٣٧٣.

(٦) نسبة لاكثر المفسرين: ابن الجوزي في زاد المسير: ص ١٥٦٧.

(٧) تفسير العنبر العظيم لابن كثير: ٤٣٥/٨.

المبحث السادس عشر: القسم في فاتحة سورة العاديات

أقسم الله - عز وجل - في فاتحة السورة بالعاديات، واختلف المفسرون في معنى العاديات في الآية، على قولين:

القول الأول: أن العاديات: الخيل في الجهاد، والضح: حممة الخيل عند العدو، وفي تخصيص خيل الغزاة بالإقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كأنه قيل: وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد أرجف هؤلاء الكفار في حق أربابها ما أظهر أنهم مبالغون في الكفران^(١). يقول القرطبي: (كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة)^(٢).

الثاني: أن العاديات: الإبل في الحج، وضحها: شدة نفسها عند السير^(٣). والذي يظهر - والله أعلم - أن القول الأول هو الأرجح، وهو أن المراد بالعاديات ضحاً: الخيل في الجهاد وحممتها عند العدو، فبهذا القول قال جمهور المفسرين وأهل اللغة، ولأن الضح لا يكون إلا للفرس، واستعمال هذا اللفظ في الإبل يكون على سبيل الاستعارة كما استعير المشافر والحافر للإنسان، والشفتان للمهر، والعدول من الحقيقة إلى المجاز بغير ضرورة لا يجوز^(٤).
جواب القسم:

جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]^(٥). يقول القرطبي: (هذا جواب القسم؛ أي طبع الإنسان على كفران النعمة)^(٦).

(١) مروي عن ابن عباس، وأنس، ومجاهد، والحسن، وعكرمة، انظر: تفسير عبدالرزاق: ٤٥١/٣، وجامع البيان للطبري: ٦٦٥/١٢ - ٦٦٦، والدر المنثور للسيوطي: ٥٩٨/١٥. ورجحه الطبري في جامع البيان: ٦٦٧/١٢، والسماعي في تفسيره: ٢٧٠/٦. وانظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٤٩/٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٤٤/٢٠، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٣٧٨/٨.

(٣) مروي عن ابن مسعود وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. انظر: جامع البيان للطبري: ٦٦٦/١٢ - ٦٦٧، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣٤٥٧/١٠، والدر المنثور للسيوطي: ٦٠٠/١٥.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٦١/٣٢.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري: ٦٧١/١٢، وتفسير السماعي: ٢٧٠/٦، وزاد المسير لابن الجوزي: ص ١٥٧٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٦٧/٨، وفتح القدير للشوكاني: ٦٤٩/٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٤٩/٢٠.

المبحث السابع عشر: القسم في فاتحة سورة العصر

أقسم الله - عز وجل - في فاتحة السورة بالعصر، وفي المراد بالعصر ثلاثة أقوال:
القول الأول: أن المراد بالعصر: الدهر^(١)، أقسم الله - عز وجل - به؛ لأن فيه
عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا ينخرم^(٢).

الثاني: أن المراد به: العشي، ما بين زوال الشمس وغروبها^(٣).
فأقسم الله - عز وجل - بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعاً من دلائل
القدرة^(٤).

الثالث: أن المراد بالعصر: صلاة العصر^(٥).
وقد أقسم الله - عز وجل - بصلاة العصر لفضلها، بدليل قوله تعالى:
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٩]، والصلاة الوسطى هي
صلاة العصر^(٦).

الذي يظهر - والله أعلم - أن القول الأول وهو أن المراد بالعصر: الدهر، هو
القول الأقوى فهو القول الأشهر^(٧)، وغيره داخل فيه.

يقول الطبري: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر،
والعصر اسم للدهر، وهو العشي والليل والنهار، ولم يخص مما شمله هذا الاسم معنى

(١) مروي عن ابن عباس، وزيد بن أسلم، انظر: جامع البيان للطبري: ٦٨٤/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٦٤٣/١٥. وبه قال القراء في معاني القرآن: ٢٨٩/٣، والواحي في الوجيز: ص ١١٣٨، ورجحه الشوكاني في فتح القدير: ٦٦١/٥.

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي: ٣٣٣/٦.

(٣) مروي عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، انظر: تفسر عبدالرزاق: ٤٥٨/٣، وجامع البيان للطبري: ٦٨٤/١٢، والدر المنثور للسيوطي: ٦٤٣/١٥.

(٤) انظر: الكشف للزمخشري: ٤٢٧/٦.

(٥) حكاه ابن الجوزي عن مقاتل، انظر: زاد المسير: ص ١٥٨٦.

(٦) انظر: الكشف للزمخشري: ٤٢٧/٦.

(٧) انظر: تفسر القرآن العظيم لابن كثير: ٤٨٠/٨.

دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه^(١).
جواب القسم:

جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]^(٢).
والمراد بالإنسان جنس الناس^(٣)، أي: إنك يا ابن آدم لفي هلكة ونقصان، إلا
من استثناهم الله تعالى^(٤).

^(١) جامع البيان للطبري: ٦٨٤/١٢.

^(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٦٧/٢٠، وفتح القدير للشوكاني: ٦٦١/٥.

^(٣) انظر: النكت والعيون للماوردي: ٣٣٣/٦، يقول السمين الحلبي: المراد به العموم بدليل الاستثناء منه،

انظر: الدر المصون: ص ٥٩٠٥.

^(٤) انظر: جامع البيان للطبري: ٦٨٤/١٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، أحمده سبحانه على ما من به عليّ من إتمام هذا البحث، فله الحمد كله، وإليه يرجع الفضل كله.

فإن الحياة مع كتاب الله - عز وجل - نعمة يدركها من أنعم الله بها عليه، وما أسعد الإنسان إذا جعل هذا الكتاب أمامه، واهتدى بهديه، وتدبر معانيه.

وبعد هذه الرحلة الماتعة مع القسم الوارد في فواتح السور وصلت - بحمد الله وفضله - إلى جملة من النتائج يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

١ - أن الله - عز وجل - أقسم بنفسه في القرآن الكريم في سبعة مواضع، والباقي كله قسم بمخلوقاته.

٢ - أن القسم بالمخلوقات يستلزم القسم بالخالق؛ لأن ذكر المخلوق يستلزم ذكر الخالق.

٣ - أن إقسام الله بشيء من مخلوقاته دليل على أنه من عظيم آياته، فالعظيم لا يقسم إلا بعظيم.

٤ - أن القسم في فواتح السور جاء في فاتحة خمس عشرة سورة كلها سور مكية.

٥ - أهمية القسم في فواتح السور فهو من حسن الابتداء وبراعة الاستهلال.

٦ - أن جميع السور التي أقسم الله في ابتدائها كان القسم لإثبات أحد الأصول الثلاثة: الوجدانية، والرسالة، والحشر، وهي التي لا يتم الإيمان إلا بها.

٧ - أن الله تعالى لم يقسم لإثبات الوجدانية إلا في سورة واحدة هي سورة الصافات،

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ٤]، وذلك لأن المشركين

وإن كانوا يقولون: ﴿أَجْمَلُ آلِهَةٍ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥٠] على سبيل الإنكار،

وكانوا يبالغون في الشرك، إلا أنهم في تضاعيف أقوالهم وتصاريف أحوالهم كانوا

يصرحون بالتوحيد، فكانوا يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد الألوهية وهذا

لا ينفعهم عند الله تعالى، وكانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾

﴿ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزمر: ٣٨] فهم لم يبالغوا في إنكار وحدانية الله سبحانه، فاكفنى بالبرهان ولم يكثروا من الإيمان.

وفي فاتحة سورتين أقسم الله - عز وجل - لإثبات صدق محمد صلى الله عليه وسلم وكونه رسولاً، في إحداهما أقسم بأمر واحد وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاضٍ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ١ - ٢].

وفي الثانية أقسم بأمرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى: ١ - ٣] وذلك لأن البراهين على إثبات رسالته عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم وبالمعجزات الأخرى التي أيده الله تعالى بها كثيرة.

أما القسم في فواتح السور الأخرى فكان المقسم عليه: الحشر والجزاء وما يتعلق به، لكون إنكار المشركين له قد جاوز الحد وكثر، فلزم من ذلك كثرة إيراد القسم في هذا الباب.

وفي الختام أسأل الله - عز وجل - أن يغفر لي ما وقع في هذا البحث من خطأ وزلل، وأن يتقبل مني، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

كما أسأله سبحانه أن يحتسب لي هذا العمل عنده، و أن يجعله من الباقيات الصالحات التي تنفع المؤمن بعد موته، وأن يحقق نسبتي لأهل القرآن العظيم الذين هم أهل الله وخاصته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلي الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

- ١- الإتيان في علوم القرآن: لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف: المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.
- ٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث: بيروت، د. ط، د. ت.
- ٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد عوض، وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ٤- إنباه الرواة على أنباه النحاة: لعلي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية: بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ٥- الإيضاح في علوم البلاغة: للخطيب القزويني، دار إحياء العلوم: بيروت، ط ٤، ١٩٩٨م.
- ٦- البحر المحيط: لأثير الدين أبي حيان الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، دار الفكر: بيروت، د. ط، د. ت.
- ٧- بديع القرآن: لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفي محمد شرف، دار فضاء مصر: القاهرة، ط ١، ١٣٧٧هـ.
- ٨- البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية: بيروت، ط ١، ١٣٧٦هـ.
- ٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: بيروت، د. ط، ١٤١٩هـ.
- ١٠- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ل محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث: الكويت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ١١- البيان في أقسام القرآن: لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الفكر: بيروت، د. ط، د. ت.

- ١٢- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان: لشرف الدين حسين بن محمد الطوسي، تحقيق: د. هادي عطية الهلالي، عالم الكتب: بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ١٣- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر: تونس، د. ط، ١٩٨٤م.
- ١٤- تفسير السمعاني: لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن: الرياض، د. ط، د. ت.
- ١٥- تفسير عبدالرزاق الصنعاني: لعبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١، د. ت.
- ١٦- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة: الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ١٧- تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية: صيدا، د. ط، د. ت.
- ١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- ١٩- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط ٤، ١٤٢٢هـ.
- ٢٠- الخواطر السوانح في أسرار الفوائح: لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د. حفي محمد شرف، دار الرسالة، ١٩٦٠م.
- ٢١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٢٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة.
- ٢٣- ديوان الراعي النميري: لأبي جندل عبيد بن حصين النميري.
- ٢٤- ديوان لبيد بن ربيعة: للبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ)، دار صادر: بيروت.

٢٥- زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)،
المكتب الإسلامي ودار ابن حزم: بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.

٢٦- سير أعلام النبلاء: لأبي عبدالله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب
الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ.

٢٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق:
عبدالقادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير: دمشق، ط ١،
١٤٠٦هـ.

٢٨- شرح المفصل: لموفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب: بيروت.

٢٩- الصحاح في اللغة: لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد
عبدالفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت، ط ٤، ١٩٩٠م.

٣٠- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى
ديب البغا، دار ابن كثير: بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

٣١- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد
عبدالباقى، دار إحياء التراث العربي: بيروت، د. ط، د. ت.

٣٢- طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار
المدني: جدة، د. ط، د. ت.

٣٣- طبقات المفسرين: لمحمد بن علي الداودي (ت ٩٤٥هـ)، تحقيق: سليمان بن
ناصر الحزني، مكتبة العلوم والحكم: الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ.

٣٤- طبقات المفسرين: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر،
مكتبة وهبة: القاهرة، ط ١، ١٣٩٦هـ.

٣٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن علي
الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء: المنصورة،
ط ٢، ١٤١٨هـ.

٣٦- القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب

- تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة ودار الريان للتراث: بيروت، ٢٠٧، ١٤٠٧هـ.
- ٣٧- قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي الحري، دار القاسم: الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٣٨- الكتاب: لأبي بشر عمرو بن عثمان ميوه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجليل: بيروت، ط ١، د.ت.
- ٣٩- الكشف عن حقائق غوامض التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، مكتبة العيكان: الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٤٠- الكشف والبيان: لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٤١- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر: بيروت، ط ١، د.ت.
- ٤٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لعبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ٤٣- المصباح في المعاني والبيان والبدیع: لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناطم، تحقيق: د. حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب: مصر، د.ط، د.ت.
- ٤٤- معالم التزويل: للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة: الرياض، ط ٤، ١٤١٧هـ.
- ٤٥- معاني القرآن: لسعيد بن مسعدة البلخي (الأخفش الأوسط) (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د. فائر فارس، طبعة المحقق، ط ٢، ١٤٠١هـ.
- ٤٦- معاني القرآن: ليحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب: بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ.

- ٤٧- معجم مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣هـ)، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر: بيروت، د.ط، د.ت.
- ٤٨- المعجم الوسيط: وضعه لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أخرج الطبعة: د. إبراهيم أنيس، ود. عبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، طبعة مصورة عن الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ.
- ٤٩- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ٥٠- المقصد الأرشد في معرفة أصحاب أحمد: لإبراهيم بن محمد بن مفلح، تحقيق: د. عبدالرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ٥١- النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد عبدالمقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية: بيروت، د.ط، د.ت.
- ٥٢- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم: دمشق، ط ١، ١٤١٥هـ.